دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	مع قديم الفلسفات في الإدارة العامة : أضواء على فلسفة الإدارة العامة في الهند القديمة
المصدر:	الإدارة
الناشر:	اتحاد جمعيات التنمية الإدارية
المؤلف الرئيسي:	الجلالي، عبدالفتاح رؤوف
المجلد/العدد:	مج 7, ع 3
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1975
الشهر:	يناير
الصفحات:	101 - 112
رقم MD:	305136
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الاستعمار البريطاني، المؤرخون، تايلور ، شروید، تاريخ الهند، الإدارة العامة، وادي السند، الفلاسفة الأوربيون، القوانين و التشريعات، الفلسفة الهندية، البوذية، الهند
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/305136

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مع قديم الفلسفات فى الإدارة العامة

أضواء على فلسفة الإدارة العامة فى الهند القديمة

عبد الفتاح رؤوف الجلالى

يعتبر هذا المقال اضافة جديدة فى سلسلة المقالات التى يقدمها الكاتب تحت عنوان (مع قديم الفلسفات للادارة العامة) والتى يحاول فيها أن يدلل على أن للادارة العامة الواعية جذورا فى الماضى السحيق ، وكان لها وجود وأثر فعال منذ أن قامت حضارات لها شانها فى المجتمع ، وان لم تخلف لنا علما للإدارة العامة واضح المعالم كما خلفت لنا من علوم طبيعية وانسانية ... والكاتب فى هذا المقال يتحدث عن الفلسفة الادارية فى الهند القديمة .

حينما رسم الدكتور شروید تايلور مؤرخ تاريخ العلم ، الذى قضى حياته العلمية فى متحف تاريخ العلوم بلندن Museum of the History of Science خريطته الفريدة عن أزمنة العلم الرئيسية The Chart of Main Periods of Science (١) ، والموضحة لمدنيات Civilizations العالم التى أنبثق منها نور العلم ، أو على أرضها نما وتطور ، وهى الخريطة التى نشرناها معأولى ابحاثنا فى سلسلة مقالاتنا هذه ، التى نكتبها تحت عنوان « وقفة مع قديم الفلسفات فى الادارة العامة» والتى لا مفر من أن نعيد نشرها فى هذا المقال لأهمية ذلك هنا ، نجده قد أبرز مدنية الهند القديمة فى وقت متساو مع مدنيتى المصريين والعراقيين القدامى ، وجعل من المدنيات الثلاث أولى مدنيات العالم القديم(١) مع ابراز فارق هام بين المدنيات الثلاث ، فبينما أنهى مدنيتى المصريين والعراقيين

عبد الفتاح رؤوف الجلالى

مدير الادارة العامة للتنظيم والتخطيط والمتابعة بشركة النصر للدخان والسجاير

سبق أن نشرنا له عدة بحوث كان آخرها « فلسفة الادارة العامة عند الصينيين القدامى » نشر فى عدد يوليو ١٩٧٤ العدد الأول ـــ المجلد السابع .

(١) ولقد وضع الدكتور شروید تايلور الخريطة فى صدر كتابه « العلم فى الماضى والحاضر » ، يرجع الى F. Sherwod Taylor, Science Past and Present, 1949

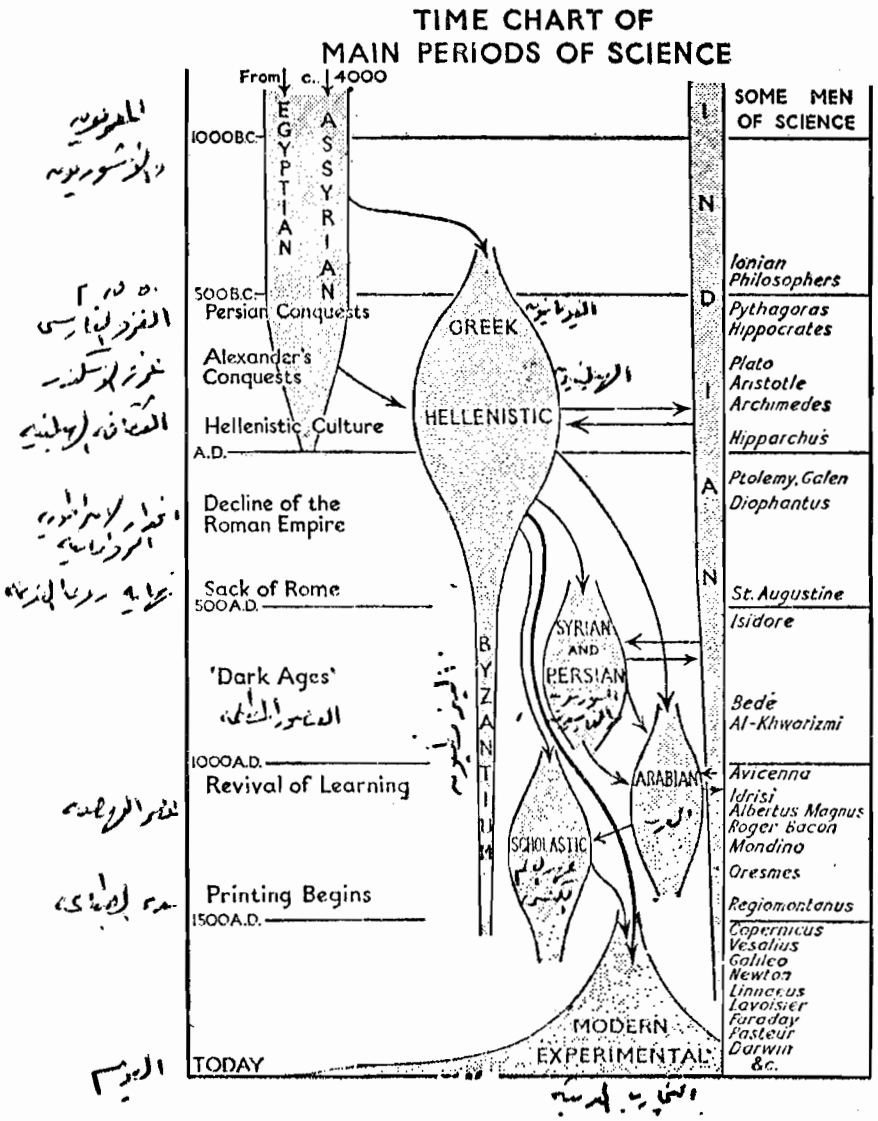

مع أوائل التاريخ الميلادى ، حينما صبتا كل نتاجهما العلمى فى المدنية الأوروبية (مدنية اليونانيين Greek فالهلينيين (Hellenistic والأخيرة هى المدنية التى بقى لأوروبا اليسير منها فى العصر البيزنطى Byzantian الى أن اختفت من الوجود مع العصور الوسطى، تلك العصور المسماة بالعصور المظلمة The Dark Ages ، اذا به يظهر استمرار المدنية الهندية على طول الصراع الحضارى للمدنيات القديمة والحديثة ، وذلك منذ قامت فى الزمن القديم بين عامى (٤٠٠٠ ، ٣٤٠٠ ق.م.) على الأرجح(١) حتى ظهور المدنية الحديثة ، اى مدنية البحث العلمى ، التى بدأت مع بدء اختراع الطباعة فى القرن السادس عشر عندما انبثق فجر النهضة الأوروبية ، وهى المدنية المسماة بعصر التجارب الحديثة Modern Experimentals

وقد أظهر شروید تايلور المدنية الهندية — كما هو واضح من الرسم — وهى تأخذ وتعطى من والى المدنية الهيلينية ، ومن والى المدنية

(1) Ibid, P. 5

السورية والفارسية ، ومن والى المدنية العربية ، ثم تسير زمنا بعد ذلك مقفلة على نفسها ، فتتوازى أيضا ، وهى تقطع الشوط بمفردها بمنأى عن العالم ، مع المدنية الغربية الحديثة (مدنية البحث العلمى) حتى ينتهى بها الأجل الى الاستعمار البريطانى ، الذى أكتمل نفوذه على الهند فى عام ١٨٥٧(١) ، والذى أدخلها مرغمة فى زوايا النسيان العلمى ، الى أن أبرزها استقلالها الحديث فى عام ١٩٤٧ ، بامكانياتها الضخمة فبدأت تطل برأسها على مدنية عصر الذرة The Atomic Age وتفخر بأنها تمكنت من سرها وفجرت نوويتها ، وبذلك قطعت ادارتها العامة الحديثة مرحلة الادارة التقليدية ، ودخلت فى خضم أزهى عصور الادارة العامة ، وهو عصر ادارة الفضاء(٢) ، Space Administration اذ عادت اشعة العلم تعلن عن انبثاقها ثانية من أرض الهند ، وأنها أحتلت مكانها فى اطار المدنية العالمية المعاصرة .

فليست هناك اذن مدنية فى العالم ، تراكمت فيها المعرفة الادارية مثل المدنية الهندية ، حيث استمرت أشعة العلم فى أراضيها ، ولم تغب عنها منذ أكثر من خمسة آلاف عام ، ذلك أن العلم لا يقوم الا حيث يكون هناك ادارة عامة زاهرة، ترعاه وتغذيه وتقيه من الذبول ، وكذلك لا تقوم المدنية الا اذا كانت قد ابتنتها ادارة عامة واعية ساندت جدرانها ، واقامت هياكلها ، ونظمت مجتمعها على أحسن النظم .

كما أنه ليس هناك مجتمع قد تداخل قديمه مع حديثه كالمجتمع الهندى ، ولهذا فان فلسفة الادارة العامة فى الهند القديمة لها وثيق الصلة بفلسفتها الحديثة ، فمعرفتها تظهر متصلة نفس اتصال مدنيتها .

واتساع الهند الشاسع وتاريخ الدول الكبرى والدويلات الصغيرة التى قامت فى ارجائها على طول مراحل التاريخ ، قد لا يعطينا الانطباع الدال على وجود ادارة عامة زاهرة تتوازى مع طول امتداد عمر المدنية الهندية المستمرة ، ذلك أن مناطق التخلف التى تتخلل مظاهر الرخاء ،ونكبات الفيضانات لأنهارها ، وبعض المجاعات التى كانت ومازالت تتعرض لها بحكم تضاريسها ، وغارات المهاجرين ، الطامعين فى ثرواتها وغير ذلك من المظاهر أمر ملحوظ فى تاريخ الهند،خاصة وأن الهند تعيش فى ظل فلسفة السلام وبطابع الزهد والتقشف منذ قديم التاريخ الى أن رأيناها واضحة عند المهاتما غاندى أحد عظماء الائمة الوطنيين فى التاريخ الحديث .

ولكننا اذا دققنا فى دراسة تاريخ الهند ، فسنجد أن مظاهر الرفاهية لم تبتعد عنها الا بعد اغتراب مدنيتها فى العصور الحديثة ، وأن نكبات الفيضانات والمجاعات كانت تطوى مع الزمن ، دون أن تترك اثرا كبيرا فى مجتمع الهند المزدهر بنظمه الفلسفية وبثرواته المتجددة ، وأن الادارة العامة قد تغذت بالكثير من فلسفة الهند العقائدية على طول مراحل مدنيتها ، فتعايشت معها ، أو قل تعايشت فى أكنافها ، كما تعايشت باقى النظم الاجتماعية الأخرى ، وأن زادها ممتلىء بالحكم والأخلاقيات والسلوكيات التى تجد صداها فى الدراسات الحديثة ، بصرف النظر عن طابع عقائدها الدينية . وأن الغزاة الذين هاجموا

---

(١) بدأ استعمار بريطانيا الحقيقى للهند عندما تألفت شركة الهند الشرقية البريطانية فى عهد الملكة اليزابيث عام ١٦٠٠ م ، ومنحت بريطانيا هذه الشركة حق امتياز تجارة الهند والشرق الاقصى وذلك عام ١٦٠٥ ، وكان قيامها على أنقاض شركة قديمة ، وهى بخلاف شركة الهند الهولندية التى قامت فى الهند أيضا فى نفس الوقت ، ولكنها تركت المجال فى الهند للشركة البريطانية ، والمخطط الذى مر فيه تكوين الرأسمالية البريطانية وخاصة بالنسبة لبريطانيا ونزحها لثروات الهند ، يذكرها المؤرخون بمرارة يندى لها الجبين « انظر د. أحمد جامع ــ الرأسمالية الناشئة ــ المبحث الأول عن تراكم رأس المال التجارى ــ ص ٢٦ ــ ٤٤ « ويرجع فى ذلك أيضا الى كتب الاقتصاديين التى تتكلم عن سياسة التجاريين فى استنزاف أموال المستعمرات وخاصة
Maurice Off, Studies in the Development of Capitalism, 1954.

(٢) وهذه المرحلة هى التى يعبر عنها فى الادارة بمرحلة النظم الشاسعة Large Systems يرجع الى كتاب
Margret K. Chandler, Managing Large Systems, 1971.

الهند سـواء الآريون (١٦٠٠ ق.م) أو الفرس (٦٠٠ ق.م) او المقدونيون « الاسكندر الأكبر » (٣٢٩ ق.م) أو الترك (١١٨٦ م) أو المغول (١٤٨٣ م) ، وغيرهم لم يتمكنوا أن يقضوا على طبيعة الهند الفلسفية او يغيروا من أمرها شيئا ، كما أن بثرهـا الثرية لم ينضب معين كنوزهـا الا بالاستعمار البريطانى ، لأن أكثر الغزوات التى تعرضت لها الهند ، كان سرعان مايجلو الغزاة عنها ، أو يتعايشوا على أرض الهند فى ظل حكمة الهنود وطقوسهم وترانيمهم الدينية(١) .

وربما يعطينا وصف « جون ستراتشى » لملكة المغول التى وجدها الشعب الانجليزى حينما تم استيلاؤه على الهند صورة لمدى الرفاهية المتطرفة التى كان يعيش فيهـا أباطرة المغول وحكامها والتى عبرت عن الأثر الممتد من مدنيتها القديمة فمع ضعف الامبراطور المغـولى « فوراكشير » الذى كان يحكم الهند فى أوائل القرن الثامن عشر (١٧١٥ م) ، وقيام دويلات مستقلة عنه داخل امبراطوريته فى الهند ، يحكمها نواب أشبه بالملوك المستقلين منهم بالنواب ، الا أن هذا الامبراطور كان يجلس فى قلعة (رد فورت) ، على عرش الهند (عرش الطاووس) حيث عاصمته دلهى مزدانا بمظاهر الرفاهية التى كانت تحيط به ، وهو يحـكم من قاعـة للعـرش نقشت على جدرانها المحلاة بالجواهر ، العبارة التى تدل على رخاء الهند ، وهى العبارة التى تقول « اذا كانت توجد جنة على الأرض ، فهى هنا !فهى هنا !فهى هنا ! » . ولا يمكن أن يستقيم هـذا القول ، الا فى ظـل ادارة عامة زاهية ، ظلت تتناقلهـا مدنية الهنـد على طول مراحلهـا حتى الأزمنة الحديثة . ويستطرد ستراتشى فيصـف القلعة التى كان يقيم فيها هذا الامبراطور المغولى فيقول انها كانت « تشبه الكرملين أو المدينة الداخلية » . وكانت نافورات القصر ينبثق منها ماء وردى ، وكانت الشجيرات تسقى باللبن وعسل النحل ، وكانت القلعة تضم داخلها الوزراء والمقربين الى الامبراطور ، وقوادالجيش ، والحاشية ، والخدم، والعبيد . وخارج أسـوار القلعة كانت تقـوم العاصمة دلهى بمبانيها المزدهرة ، حيث كانت تعيش على موارد شـبه القارة الهندية ، وحيث كانت تضم رجال البنوك والمـال والتجارة والنبلاء والكهنة والنساجين الذين لايباريهم أحد فى مهارتهم، كما كانت تضم أحذق الصناع فى كل الفنون ، وكان يتكون من كل هؤلاء مجتمع راق متقدم . وبجانب « دلهى المغول » كانت لندن فى عام ١٧١٥ تبدو فى كثير من النواحى مجرد بلدة ريفية(٢) » .

فهذا التقدم الذى وصفه ستراتشى لختام مدنية الهنود ، التى استمرت ما يقرب من ستة آلاف عام ، قد لا يزيد ـــ اذا استبعدنا مظاهر الترف الباذخـة ـــ التى اشرنا اليها ـــ عن التقـدم والرفاهية التى كانت تعيش فيها المدنية الهندية القديمة ، التى جعلت شروبد تايلور ، يضع الهند فى صف واحد مع بناة الاهرام ومجتمع بابل .

والمدنية الهندية القديمة التى كشفت عن عظمة الهند ، وجعلت العالم ينظر اليها باهتمام لينبوع المعـرفة الذى نبع منهـا ، هى المدنيـة التى يطلق عليهـا « مدنيـة وادى ـــ الانـدس(٣) » The Indus Civilization اى وادى السند كما

---

(١) يمكن أن يرجع لمعرفة تاريخ الهند على حقيقته الى المراجع الآتية :
(a) V.A. Smith, The Oxford History of India, 1920; (b) H.H. Dodwell The Cambridge History of India, 1934; (c) W. H. Moreland and A.C. Chatteryée, A Shorter History of India, 1945 (d) A.R. Macdonell, India's Past, 1937; and (e) An Encyclopedea of The World History by Willian Langer.

والمرجع الأخير ترجمه الى العربية الدكتور محمد مصطفى زيادة « موسوعة تاريخ العلم » أنظر الهند ص٩٥ ومابعدها . وللكتاب ترجمة قام بها الأستاذان حسن الحوت ومحمود حسن حلمى ونشرتها مجموعة كتب « اخترنا لك » .

(٢) يرجع الى John Stratchey, The End of Empire

(٣) يرجع الى J.H. Mockay, Early Indus Civilization, 1946, and See also; W.M. Theodore De Bory and others, Records of Civilizations, Sources of Indian Traditions, 1958, p. 3

تعرف فى العربية(١) . والغريب أن هذه المدنية لم تكتشف الا فى عام ١٩٢٤ فى منطقة موهنجو داروا Mohengodara على الضفة الغربية من نهر السند الادنى ، وهارابا Harapa على بعد بضعة أميال منها ناحية الشمال ، حيث أفصح مكتشفاها سيرجون مارشال ومساعده العالم الأثرى الهندى ر.د. بانرجى ، أنها كانت بالغة الرقى خلال الألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد ، وأن ما وجد منها من نظم مستقرة تساوى على الأقل ما وجد فى « سومر » ويفوق ما كان سائدا فى العصر نفسه فى بابل ومصر ، وان المدن المستكشفة والتى دثرت فى الثرى طابقا بعد طابق كانت أشد ازدهارا من مدينة « أور » Ur اشهر مدن السومريين(٢) ، وهى المدينة التى تمتعت بشهرتها الادارية العظيمة قبل أن تتمتع بمثل هذه الشهرة مدن المصريين أمثال « ممفيس » «وطيبه» أو دول المدن الهلينية أمثال « أثينا » « واسبرطة » . ومقارنة المدن الهندية القديمة بمدينة « أور » بالذات ، لها دلالة على قدم هذه المدنيه ، لأن «أور» هذه هى المدينة التى قيل عنها انها كانت مسقط رأس سيدنا ابراهيم(٣) ولهذا يكثر القول بأن المدنيه الهندية كانت ذات نمط متقدم فى نظمها عن باقى البلاد الاخرى التى عاصرتها ، وأن السومريين « أقدم فترات المدنية فى بلاد ما بين النهرين » قد نقلوا عن المدنية الهندية ثقافتها(٤) ويميل البعض الى ارجاع تاريخ المدنية الهندية الى عام ٦٠٠٠ قبل الميلاد(٥) وان كان البعض يشكك كثيرا فى هذا(٦) .

وليس من السهولة أن نجزم بشىء فى خلاف الأثريين والأركولوجيين والأنثريولوجيين ، عن أى المدنيتين كانت أقدم من الأخرى ، مدنية سومر أم مدنية الهند وأيهما أعطت الثانية من زادها ومعارفها وفلسفاتها، وهل نقلت مدنية السومريين عن الهنود أم نقلت مدنية الهنود عن السومريين، وعما اذا كانت مدن الأندس ذات الأبنية الضخمة المبنية من الأجر الأحمر ، وذات النظم المتعددة فى ادارتها ، قد سبقت بناء الاهرامات او بناء الأهرامات قد سبقها ، فكل هذه الأمور لا يمكن البت فيها ، لان مدن الهند المستكشفة مازالت حديثة العهد بالكشف ، فلم يمض على العثور عليها اكثر من خمسين عاما ، والعمل دائب للكشف عن باقى أثارها . وكل يوم يمر تمد متاحف الهند بالعديد مما تتكشف عنه معاول المنقبين عن الآثار ، وكلما لفظ جوف الأرض الهندية عن آثار جديدة ، انكشف القناع عن أقوال الرواة

---

(١) لقد التزمنا فى التعبير العربى لكلمة Indus بنفس الكلمة اللاتينية « اندس » منطوقة ومكتوبة بحروف عربية ، وهو تعبير أدق من قولنا : « وادى السند »، كما هو شائع فى اللغة العربية (موسوعة تاريخ العلم — النسخة العربية — ص ٩٥) . وقد شجعنا على أن نلتزم بنفس تسمية هذه المدنية كما جاءت فى اللاتينية ، أن الأستاذ « همايون كبير » أحد علماء الهند المشهود لهم بسعة المعرفة فى أيامنا الحديثة ، حينما ألف كتابه عن « التراث الهندى » باللغة العربية ، وذلك لاجلاء الغموض عن هذا التراث لدى قراء العربية ، وكان بحكم منصبه ، أقدر من يرشدنا الى صحيح النطق العربى لهذه المدنية ، خاصة وقد ألف كتابه وهو وزير للثقافة والبحث العلمى للهند ، وبالأخص لأن الذى قام بنشر الكتاب هو « مجلس الهند للروابط الثقافية » ، هذا العالم الهندى الكبير قد احتفظ فى كتابه بالتعبير اللاتينى عند الاشارة الى مدنية « وادى السند » ، فلم يشر اليها الا بقوله « وادى الاندس » . يرجع الى « همليون كبير — التراث الهندى — ١٩٥٩ ص ١ وما بعدها » . ثم لابد أن نقرر أن « وادى الاندس » ليس من صنع نهر السند فقط فهو قائم فى شمال الهند فى منطقة الأنهار حيث نهر الكنج ونهر براهما بترا وفروعهما الكثيرة .

(٢) يرجع الى Will Durant, The Story of Civilization, Our Oriental Heritage, Book Two, India and her Neighbors, 1938, P. 35.

وانظر ترجمة هذا الجزء الذى قام به الدكتور زكى نجيب محمود ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

كما يرجع الى : The Cambridge History of India

(٣) يرجع الى بحثنا « جوانب الفكر الادارى فى فلسفة العراقيين القدامى » مجلة الادارة عدد يناير ١٩٧٤ .

(٤) يرجع الى V. G. Child, The Most Ancient East, p. 291.

(٥) السيد أبو النصر أحمد الحسينى — الفلسفة الهندية ، دراسة تتضمن نواحيها مع المقارنة بالفلسفة العربية ، ص ٦ وما بعدها .

(٦) بول ماسون أورسيل — الفلسفة فى الشرق — ترجمة الاستاذ محمد يوسف موسى ، ١٩٤٥ ، ص ٥٠ وما بعدها

والمؤرخين ، فاما يؤيد هذا الكشف هذه الأقوال وأما يدحضها(١) . ولهذا فأمام بحاث الآثار عشرات السنين التى قد تفنى جيلا أو جيلين لتنظيم معلوماتهم عن الكشوفات المستحدثة فى الهند ، خاصة ولم تعد آثار مدنية الاندس تظهر بالمنطقة الشمالية حيث موهنجو داروا وهارابا ، بل تعدتها الى مناطق أخرى من نهر الستلج Sultej فى جيسلمر Gasalmer من أعمال راجيستان Ragasthan كما لوحظ أن هذه المدنية قد امتدت فى لوتال Lothal ، الواقعة على مقربة من أحمد أباد Ahmadabad (٢) وبذلك يمكن أن نقول أن هذه المدنية القديمة قد امتدت فى الهند جنوبا وشرقا فشكلت نصف شبه القارة الهندية.

ولا يصح أن ننظر الى الهند كاحدى مناطق الآثار القديمة المحدودة المساحة ، بحيث يمكن لفريق من البحاث أن يسرعوا الخطى فى الكشف عن مكوناتها الخفية تحت الأرض ، فالهند ذات طبيعة مختلفة عن باقى بلاد المدنيات القديمة كمصر أو العراق أو سوريا أو فلسطين أو لبنان أو اليونان أو فارس أو غيرها من البلاد ، فلو جمعت مساحة الأراضى التى ظهرت فيها المدنيات القديمة لما ساوت مساحة الهند وحدها ، اذ تبلغ مساحة الهند ٣ر٨ مليون كم٢ ، (بخلاف الباكستان وبنجلاديش وسيلان وغيرها من البلاد التى كانت تشتمل عليها الهند القديمة)(٣) ثم ان ظروفها الحضارية تختلف عن ظروف البلاد الأخرى فأهلها البالغ عددهم ٥٨٦ مليون نسمة(٤) يتكلمون ٢٢٥ لغة مما يصعب معه توحيد الجهود وسهولة الاتصال ، بل تزيد هذه اللغات لتصبح ٨٤٥ لغة اذا ما ضممنا اليها اللهجات المتباينة لكل لغة والتى تجعل اللغة الواحدة حينما تتعدد لهجاتها فى حكم اللغات المتعددة(٥) .

على أنه مهما بلغت الحيرة لدى علماء الآثار ، ومن يتبعونهم وينتظرون نتائج كشوفهم ، بفعل المعوقات والمشكلات التى تعوق سرعتهم فى الكشف عن كنوز الهند الأثرية وضجرهم من عدم قدرتهم أن يستنطقوا بسرعة الحقيقة فى أرض الهند عارية من كل لبس ، حينما يجدونها تنطق من أثر من الآثار ، قد يعثرون عليه مخبأ فى مقبرة أو معبد أو مبنى أو قصر ، أو يجدونه منقوشا على حجر ، أو تبرزه قطعة حلى ، أو لباس بال ، أو بقايا عظام ، أو مدينة كاملة المرافق مرصوفة الطرق ، أو ما شابه ذلك ، فان هناك شيئا هاما ظل حافظا لمدنية الهنود على طول مراحل تاريخها الا وهو النظم الفلسفية للهند القديمة ، التى كتب لها كما يقول الفلاسفة الاستمرار دون أى فترة انقطاع ، والتى أظهرها التاريخ متدرجة فى النمو مع الزمن ، فصارت بذلك واسعة المدى لدرجة

---

(١) استيل فردمان — التنقيب عن الماضى — ترجمة الأستاذ أحمد محمد عيسى ١٩٦٠ ص ٢ وما بعدها .

(٢) همايون كبير — التراث الهندسى ص ٣ .

(٣) دكتورة دولت أحمد صادق — جغرافية العالم — دراسة اقليمية — الجزء الأول — آسيا وأوربا ، ١٩٧٠ ص ٧٠ على أنه يؤخذ من نشرة سفارة الهند فى أهرام يوم ١٩٧٤/٨/١٧ بأن مساحتها ٣ر٢٧ كم٢ ، ونميل الى الأخذ بهذا الرقم ، لأنه لوكانت المساحة أكبر من ذلك ، لما كان هناك صالح للجهات الرسمية للهند فى انقاصها .

(٤) ذكرت الدكتورة دولت صادق أن تعداد السكان هو ٤٥٠ مليونا « المرجع السابق » ، وهذا ما يؤيده جاى ونت Guy Wit فقد ذكر أيضا أن تعداد السكان ٥ر٤٤٩ نسمة أنظر كتابه Rate of Population increase لكن الرقم الذى ذكرناه هو تعداد سنة ١٩٧٣ حسب آخر الاحصائيات الرسمية .

(٥) ومن هذه اللغات ١٧٩ لغة مسلم بها كلغات أصلية للبلاد ، واللغات التى يقررها الدستور الهندى كلغات للادارة العامة والتى تستخدمها حكومات الولايات التى يبلغ تعدادها خمس عشرة ولاية بخلاف خمس مناطق ادارية تدار لامركزيا ، تبلغ أربع عشرة لغة ، وان كانت اللغات الغالبة الاستعمال هى اللغة الهندية ، واللغة الانجليزية ، ولكن أكثر من ٩٥٪ من السكان يتكلمون أكثر من لغة واحدة . والكتابة الرسمية عدا الانجليزية هى أما الكتابة الناجارية Nagari Script المشتقة من الكتابة السنسكرتية Sanskrit Script ، أو الكتابة الاردية Ordu Script المشتقة من العربية . كما أن هناك لغات هندية أصلية كثيرة يتكلمها أهل الدكن وأهمها لغة تامل . يرجع الى Moshe Y. Sacks, Worldmark Encyclopedea of The Nations, Asia and Australia, 1963 pp. 79-95.

لافتة(١) ، ذلك أن الهنود قد حفظوها نصوصا فى الصدور أكثر مما كتبوها نقوشا على الآثار ، فكانت بذلك طيعة للتطور ، قابلة للتهذيب ، متفاعلة مع التقدم الفكرى الانسانى ، فتقبلت بسهولة الكثير من الاضافات التى جادت بها قرائح المفكرين على مدى الأجيال .

وبهذا تمكنت الكلمة المنطوقة والمرنمة والمرتلة التى كانت تنتقل جيلا بعد جيل مع الانسان الحى من أن تحافظ على الثراء العريض للفكر الفلسفى الهندى ، وهو ما لم يحدث لأى شعب من الشعوب . والغريب أن الفلاسفة كثيرا مايشيرون الى أن ترجمة النظم الفلسفية للهند بأكملها — وهى محاولات يقدم عليها المترجمون والعلماء مناشدين اثراء اللغات الأخرى بها — أمر صعب تحقيقه ، لأن هذه النظم عاشت داخل عقائد دينية اشتملت على كثير من الطقوس ، التى تعنى معانى معينة ، قد لا تفهم الا لمعتنقيها ومزاوليها ، كما أن الترانيم التى تصاحب نطقها ، من العادة الا تفصح سرها لغير معتنق العقيدة(٢) .

ومع أن الاستعمار الاقتصادى الاوروبى للهند الذى انفردت به انجلترا بعد ذلك بجانب استعمارها السياسى ، كان ناهبا لثرواتها منهيا لمدنيتها القديمة ، الا أنه كان كاشفا لفلسفتها القديمة العميقة ، ولا يمكن لاحد أن ينكر هذه الحقيقة . ففى البدء لم يكن يهوى الذهاب الى الهند الا حفنة التجار المستغلين ، وكان العلماء والفلاسفة الأوربيون يظنون أن الهند ليست الا منبعا للثروات ، فلما أصدر الفيلسوف الهولندى روجرز كتابه « دعوة الى الوثنية الخبيثة »(٣) وذلك فى عام ١٦٥١ ، وبدأ الفلاسفة الأوروبيون يقرأون عن الفكر الفلسفى الهندى وجدوه يحوى نظما للفلسفة متشابكة ، ولكنها مرصوصة رصا محكما ، أحكمته الرواية فى البدء ، ثم أكملت أحكامه الكتابة والتسجيل بجانب الرواية والترنيم، وحفظته الأمهات مثل الآباء ليلقنوا تعاليم هذه الفلسفة للأطفال(٤) ، فنشأ الشعب الهندى عليها بفلسفته التى تغلغت بها عقائده ، فكانت الفلسفة هى مدرسة التربية الحقيقية للشعب الهندى . وبذلك ابتدأ فلاسفة أوروبا يكتبون عن عبادة (براهما) ، ويترجمون كتب الفيدات The Vedas ويتحدثون عن روعة اليوبانشاد Upansads والريجفيدا Rg Veda والمهابهارتا Mahabharta والراميانا Ramyana واليوجا Yoga وغيرها من روائع الفلسفة الهندية التى انبهر بها فلاسفة أوروبا .

وتعتبر الفيدات هى محتوى المعرفة Book of Knowledge للتراث الهندى المقدس. لأن (فيدا) تعنى المعرفة Knowledge وتشكل (الفيدات) الأساس الرئيسى الذى تقوم عليه العقيدة الهندوكية الحالية Hunduism التى يدين بها أكثر من ٨٥٪ من سكان الهند المعاصرين(٥)، فهى لهم (كالأنجيل بالنسبة للمسيحيين وكالقرآن بالنسبة للمسلمين) .

وعلى قدر ما تحتوى (الفيدات) من مبادىء

---

(١) يرجع الى Sarverpala Radhakrushman and Clarles A. More, A source Book in Indian Philosophy, 1957, VII.

(٢) المرجع السابق (المقدمة)

(٣) Abraham Roger, Open Door to The Hidden Healbendom, 1651.

(٤) فى كتاب برمهنسا يوجانندا عن « فلسفة الهند فى سيرةيوجى » ، الذى أدهش أساتذة هارفارد بأمريكا وهو الكتاب الذى نقله للعربية الأستاذ زكى عوض ، ١٩٥٥ تجده يقول عن حياته فى بدء نشأتها : « وفى حضرة الأم تذوقنا المعرفة الحلوة والمرة للاسفار المقدسة لقصص المهابهارتا والراميانا وكانت المرجع الشافى لنا فى التربية » يرجع للكتاب ص ١٩ .

(٥) هناك أديان أخرى فى الهند ، والهند من البلاد التى تحترم حقا حرية الأديان رغم دين الهندوكيين الغالب ، فالاسلام يدين به ١٠٪ من سكان الهند ، والمسيحيةيدين بها ٢٫٣٪ من السكان والسيخ Sikho يدين بها ١٫٧٪ ، وهناك مجموعة ديانات كالبوذية Buddhism التى أسسها الهنود والتى كادت تنقرض من أرضها الآن وهناك الجانز Jains والبارسز Parses وغيرها ، ولا تزيد الأديان الأخرى فى مجموعها عن ١٪ .
يرجع الى Worldmark Encyclopedia of the Nations p. 82.

فلسفية ، وضعتها فى صف أكثر النظم الفلسفية تقدما فى العالم ، وقامت لأجلها أقسام للفلسفة الهندية فى جامعات أوروبا وأمريكا ، الا أنها غاية فى التعقيد ، لكثرة تقسيماتها ، وتفريعاتها ، وأساطيرها ،وأشخاصها ، ووقائعها ، واختلاط بسيط الكلام فيها مع معقده ، وبالغ الحكمة مع أولياتها . لهذا قامت فى جامعات الدول المتقدمة ضمن الدراسات المقارنة فى العلوم الاجتماعية، أقسام تحاول أن تستلهم المعرفة من أفواه الحكماء الهنود وكتاباتهم ، وكل منها يبحث عن نصيبه من هذه الفلسفات . وكما تاه الناس فى آثار الهند تاهوا أيضا فى فلسفة الفيدات(١) ولكن الأوروبيين أستخلصوا منها ثقافة الهند ، التى قالوا عنها أنها تحوى كل شىء ، وأن دقائقها تحتوى على كل طريف من المعرفة وكل عميق فى شئون الحياة ، وأنها تحوى من البدائيات البسيطة فى معرفة الكون الى أعقد النظريات الميتافيزيقية ، ومن الوثنية المتطرفة الى وحدة الخالق ممثلا فى الاله الأكبر للهندوكيين (براهما). وبدأ الاوربيون يراجعون حصيلة المعرفة الغربية من الفلسفة ، وكلما وجدوا رأيا لفيلسوف متماثل مع ما قرأوه فى النظم الفلسفية للهند ، قالوا عنه أنه استعاره منها ، هكذا قالوا عن سقراط بأن فيلسوفا هنديا جاء الى مقره فى أثينا وأخذ يحاوره فتغذى سقراط من فلسفته، وعن أرسطو Aristotle أن الاسكندر الأكبر « تلميذه » أرسل اليه كتب الهند الفلسفية فنهل منها ، وشملوا حديثهم كذلك فيثاغورث Pythagore وديموقريطس Democrite وفيدون Phédon ، وحينما وصلوا للفلاسفة الحداث رووا لنا تأثير الفكر الفلسفى الهندى على هردر Herder وشلجل Schlegel وولهم Wilhelm وفندسمان Windeschmann وغيرهم ممن لا يعدون ولا يحصون(٢) .

وفى رأينا أنه سيأتى الدور على بحاث الادارة العامة لتحديد نصيبهم من ثقافة الهند القديمة ، ولقد بدأت تبرز فى بعض كتابات علماء الادارة العامة آراء فلاسفة الهند وأن لم يفصح بعضهم عنها . فالاستاذ والدو مثلا حينما أراد أن يعرف (التنظيم) Organization قال انه لا يمكنه أن يغطى تعريفه للتنظيم ، والا فسيعيد أسطورة فاقدى البصر والفيل The Blind Men and The Elephant فكل منهم قد تحسس الفيل من مكان مختلف عن الآخر ، وبذلك خرج كل منهم بمعرفة عن هذا الحيوان تختلف عن زميله . ثم يخرج والدو من هذا الحديث ، بأن الذين يكتبون فى الادارة ، لن يمكنهم استيفاؤها لأن المعرفة عندهم جزئية ، وما يقرره الاقتصادى عنها ، غير ما يقرره السيكلوجى .. الخ .

ولأن (الكلى) فى المعرفة صعب المنال(٣) . هذا الذى قاله والدو،ولم يشر الى مصدره ،ظهر لنا أنه مستعار من الفلسفة الهندية من مذهب الجانتيين ، الذين يدينون بأن الحقيقة نسبية ، ويضربون مثلا على هذا بفاقدى البصر الستة (أى أن الأسطورة من صنع فلاسفة الهند) حينما يتحسسون فيلا ، فالذى يلمسه من أذنه سيصف الفيل بأنه مروحة ضخمة لذر الغلال ، أما الآخر الذى يضع يده على ساق الفيل فسيظن أنه عمود مستدير طويل ، ولهذا فان الأحكام نسبية ، والحق الذى يصفه شخص أو جماعة ليس الا حقا من وجهة نظر معينة ، وربما يكون باطلا من وجهة نظر أخرى . وهو نفس ما ذهب اليه والدو بفارق أن الجانتية وفقا لتعاليم مؤسسها «ماها فيرا» ، ان كانت تظن أن الحق الكلى بعيد المنال ، الا أنها تعترف به لطائفتها ، الذين يقضون حياتهم متقشفين متبتلين ، يبحثون عن سر الوجود ، حتى يطهروا أنفسهم من أدران الحياة ، فاذا تمكنوا من ذلك ،

---

(١) يرجع الى (b) M. Bloomfield, The Religion of Veda, 1908 and See also; S. Radhakrishman, A Source Book in India Philosophy, 1957, pp. 3-36.

(٢) يرجع الى H. De Glasenapp, La Philosophie Indienne, 1951, p. 13.

(٣) يرجع الى Dwight Waldo, Ideas and issues in Public Administration, 1963, p. 82.

فهم وحدهم الذين ستتكشف الحقيقة المطلقة لهم.

واذا استثنينا تقسيمات الفيدات التى ينوء الحديث بحملها عند تحليلها ، كالريج فيدا The Rig Veda وهى الخاصة باطلاق الترانيم والثناء للاله The Hymns and Praise « والسامافيدا الخاصة بضبط الانغام Melodies عند التراتيل ، والياجورفيدا The Yajor Veda الخاصة بالقرابين Sacreficial Formules التى يقوم بها الكهنة للالهة، والآثارفافيدا The Atharua Veda الخاصة بأنواع السحر The Majic Formula ، كما اذا تركنا جانبا اشكال الفيدات المتنوعة كالمانترا The Mantra اى الترانيم ، والبراهمان Brahmanes اى قواعد الطقوس والدعاء والرقى ، التى يقوم بها الكهنة ، والأرانياكا Aranyaka اى نصوص الغابة الخاصة بالقديسين الرهبان ، واليوبانشاد Upinsads وهى المحاورات السرية للفلاسفة(١)، اذا استثنينا الخوض فى مسائل هذه التفريعات الفلسفية ، رغم أنك تجد بالنسبة للفلسفة الهندية بالذات ، أن الترنيم والنغم والطقوس وتقديم القربان ، تحوى من المواعظ والحكم ، ما يمكن ادراجه تحت بنود الاخلاقيات ، لأن الفلسفة الهندية جاءت مختلطة بكل هذا ، فسوف تجد أنه من الاهمية الكبرى أن نقول أن بحاث العلوم، يجدون أكثر اغراضهم بالذات فى اليوبانشاد التى تحوى آراء الهند الفلسفية العظمى(٢) .

ومن أهم الموضوعات التى تحتوى عليها اليوبانشاد والتى يجد دارس الادارة العامة فيها كثيرا من المعرفة ، تلك القوانين المسماة بقوانين مانو The Laws of Manu ، ففى هذه القوانين يظهر بوضوح كيف روضت الفلسفة الهندية عقلية المواطن الهندى القديم فطبعته بالقناعة مع شىء كثير من القسوة ، كما أنه ظاهر فيها كيف بدأ المجتمع الهندى طابعه فى التقشف والزهد ، بحيث أصبحت طبيعته العامة العزوف عن الدنيا وزهوتها ، والرضا بقليل العيش وابسط المظاهر فى الحياة .

وهذا التشريع المانوى فى جملته ، تشريع دقيق صارم أريد به تربية خلق الهنود واخضاعهم لطبقة الكهنة (البراهميين) ، وللملوك كذلك ، وتم بموجب هذه القوانين تنميط قواعد السلوك الاجتماعى للناس عامة ، كما أريد تثبيت قواعد العرف والتقاليد التى عاشت مع الهنود حتى اليوم .

وقوانين مانو ذات الطابع الفلسفى هى أبيات من الشعر بلغت ٢٦٨٥ بيتا ، قيل فى ميثولوجية أهل الهند القدامى انها من وحى الاله «براهما»(٣) الذى كان فى نظرهم هو الاله الاكبر الذى لا يقهر .

ولقد صورت هذه القوانين طبقات الشعب على هيئة أربعة أجزاء من جسم الاله براهما ، أعلاها طبقة البراهما ، وهم كهان الاله ذاته ، وهم ذوو طبيعة قدسية ، وكانوا يمثلون من الاله رأسه ، بمعنى أنهم كانوا بالنسبة له مصدر حكمته . هؤلاء كان يجب على الملوك أجلالهم وعليهم أن يخدموهم ، والا ينالوا من كرامتهم ، وأن يحققوا رجاءهم ، ويستجيبوا لنصحهم ، ولا يمسوا أملاكهم ، ولا يفرضوا عليها الضرائب، ولايحملوها بأى التزام ، ولو فى أشد الظروف(٤). أما الطبقة الثانية فكانت طبقة المتحاربين، وكانوا يمثلون من الاله ذراعه أى مادة قوته . وكان من هؤلاء يخرج الملوك ، الذين كانت مكانتهم أيضا مقدسة ، حيث تشبههم هذه القوانين بالنار المقدسة التى لا يصح الاقتراب منها ، وبالشمس التى تضىء القلوب ، وتشع النور فى العيون ، وبقوى الطبيعة العظمى .. كتلك التى تسكن الرياح أو القمر أو ما شابه ذلك . فهم فى مكانتهم القدسية لم يكن يعلوهم غير طبقة البراهمة فقط . أما الطبقة الثالثة فكانت طبقة التجار والصناع ، وهم الذين يمثلون من الاله فخذه ، أى التى تعينه

---

(١) يرجع الى Will Durant, The Sotry of Civilization, p. 407.
(٢) يرجع الى Jack Finegan, The Archeology of World Religions, 1952, p. 30.
(٣) يرجع الى A Source Book in Indian Philosophy, 1957, pp. 172-192.
(٤) الدكتور مصطفى الخشاب ـ تاريخ الفلسفة والنظريات الفلسفية ـ ص ٢٦ وما بعدها

على انتصاب طوله ، وهؤلاء هم أفراد الشعب العاملين الذين يمثلون مصدر رزقه ، ولكن ليس لهم أن يتساورا فى الحقوق بطبقة المحاربين ولا فى الطقوس الدينية بطبقة البراهما ، أما الطبقة الرابعة فهى طبقة العبيد والارقاء ، وهى تمثل قدم الاله أى أدنى أجزاء جسمه ، وهؤلاء هم الذين لا يجب أن يعلو رأسهم الى أعلى لأنهم خلقوا للخدمة دون التمتع بأى امتياز ، ولهذا قضى على أغلبهم أن يظلوا فى القاع .

ولقد استعانت المدرسة المانوية فى الادارة العامة بهذا التنظيم على صرف الناس عن طلب المساواة فى المعاملة ، فزهدوا عن المطالبة بحقوقهم ، وداوموا على فهم أنفسهم بالطريقة التى رسمتها لهم هذه القوانين .

ولقد كان على طبقة البراهمة التى كفل لها كل مظاهر التقديس والاحترام ، أن تبتدع شيئا يضمن دوام هذا التنظيم ، حتى يكفل لهم دوام البقاء فى علوهم ، وليظل الناس بعيدين عن التفكير فى أمر دنياهم ، فكان أن صور (الجزاء) Chatisment الذى يقع على المخالفين للتنظيم البراهمى ، وكأنه أمر قدسى لايصح المناقشة فيه، فجعلوامن هذا المبدأ الادارى الصرف أى (الجزاء) الها مطاعا ، وصوروه على هيئة « السياسى الماهر ، والمدير الماكر ، الذى يحكم الجنس الانسانى ويرعى مصالحه ويسهر على سلامته » حتى أصبح من الجزاء فى ميثولوجية الهنود القدامى « قاض قديس » .. « يستيقظ مبكرا قبل أن تستيقظ الكائنات ولا يغمض عينيه الساهرتين حتى لا يفلت العابثون من رقابته » ثم ليضمنوا التشدد فى تنفيذ هذا القانون ،فقد أشار هذا القانون الى أن البراهمى اذا أساء تطبيق الأوامر التى تهبط عليه من عالم الالهة، انقلبت سعادة الأفراد بؤسا وشقاء ، وعاث الأشرار فى الأرض فسادا ، وتحللت الروابط الاجتماعية ، واعتدى الأقوياء على الضعفاء ، وانتقم العبيد من الأسياد ، واستولى الدهماء على صولجان الحكم ، وساموا البراهمة صنوف العذاب والوان المذلة والهوان . وهذه الفلسفة على ما فيها من أمل براق فى الحرص على سلامة النظام الاجتماعى ، ومن رغبة معسولة فى تنفيذ القوانين ، الا أنها كما يقول بول جانيه تخفى وراءها أعنف مظاهر الحكم الثيوقراطى ، وأقسى مظاهر الملكية المستبدة لأنها تضع فوق قمة المجتمع (اله الجزاء) وقد تدثر فى أثواب دموية لا تعرف اللين والمهادنة(١) .

وكان تطبيق مبدأ الجزاء بهذه الصورة ، علاوة على انه ساعد على اعتناق شعب الهند القديم للافكار الصوفية،التى ولدت فيهم العكوف على التأمل العقلى فى القوى الخفية والفناء فى الذات الالهية ممثلة فى الاله براهما والبعد عن مشاكل الحياة اليومية خوفا من الاذى الذى يصيب المتعلق بأمور الدنيا ، كان كذلك سببا فى خلق طبقة شعبية خامسة غير الطبقات الأربع التى وردت فى القوانين المانوية ، وهى طبقة المنبوذين ، التى كان قوامها أسرى الحروب وبعض القبائل الوطنية التى لم ترض الارتداد عن ديانتها الفطرية ، وكذلك الذين يصبحون عبيدا وأرقاء نتيجة توقيع الجزاء عليهم.

ولقد تمكنت طبقة البراهمة فى ظل المدرسة المانوية أن تسيطر على المجتمع الهندى القديم وتقيم لنفسها داخله استقلالا فنيا عجيبا ، حتى أصبح يعتقد أفراده أنها أحدى الوسائل الهامة المؤثرة فى الطبيعة ، والتى بتسخيرها لقواها يمكنها أن تزيد من الانتاج القومى ولا سيما فى الزراعة، كما أصبح يعتقد الناس فى أن ارضاءها يقى البلاد شر الكوارث الطبيعية ، وشر الافات الزراعية ، وشر الأمراض التى تنتاب مملكة الحيوان . ولكنه رغم كل هذا الانضباط الادارى الذى صاغه بعناية البراهميون القدامى اذا بطبقة من المفكرين ينفلتون من بين براثن هذه المدرسة ويؤسسون مذاهب مختلفة تقاوم سيطرة البراهمة .

---

(١) المرجع السابق ويرجع كذلك الى : Paul Janet, Histoire de la Science Politique. Tome I, p. 160.

لقد حاول البراهمة أن يقسموا بينهم وبين الغزاة من الآريين قيادة الهند فتركوا للغزاة الانخراط فى سلك المحاربين الكشاتريه Kchatrayas فى حين قصروا على أنفسهم وظائف الحكمة والفلسفة والكهنوت . وقد جعلوا من الفلسفة التى ضمت كل معارف الهند سرا ولغزا موقوفا عليهم ، وجعلوا من اللغة السنسكريتيه لغة للكهنة ، فعاشت مغلقة فى عقولهم ، كما أن كتابتها لم تكن صناعة لغيرهم واستخدموا الكتابة فى القليل النادر ولهذا سيطروا على مجال العلم والفلسفة .

وكان من الضرورى أن يظهر من الشعب أناس يحاولون فك طلاسم اللغة السنسكريتية ، ولهذا نجدها تتطور فى عصر بوذا الى اللغة البراكيتية، التى كانت لغة البوذيين والجانتين ثم تحولت الى لغة شعبية وهى اللغة الباليه (التى كتبت بها تعاليم بوذا) .

وانك لتلحظ التشكيك فى قوة البراهمة فى بعض أشعار اليوبانشاد نفسها ، ففيها من الأشعار ما تشير اليهم بتهكم . الا أن المعول الحقيقى الذى هدم تسلط طبقة البراهمة على الشعب الهندى القديم لم يكن غير بوذا نفسه الذى عاش بين عام ٥٦٣ وعام ٤٨٣ ق.م .

ولقد اعتنى الهنود القدامى بتدوين تعاليم بوذا كتابة بعد أن تداولها الشعب ما يقرب من ثلاثة قرون ، وأمر المجلس البوذى فى عام ٢٤١ قبل الميلاد بتدوين هذه التعليمات وأطلقوا عليها اسم الباتاكات «Pitakas» ومعناها سلال القانون Baskets of the Law وهى تحوى ثلاثة أقسام: السوتا The Sutta أى حكايات بوذا ومناقشاته ، والفينيا The Vinaya أى تشريعه Discipline والابيزوما The Abbidhamma أى مذهبه(١) .

ومع أن الديانة البوذية قد تفرعت أصلا من الديانة البراهمية الجامدة ،ولم تكن فى أول الأمر تقصد القضاء على الفوارق الطبقية فى المجتمع الهندى القديم ، الا أنها بتبنيها مبدأ المساواة بين أفراد الشعب ، ومناداتها باشتراك الأفراد جميعا فى الطقوس والعبادات ، اذا بحركتها التى كانت بمثابة ثورة داخل صفوف المدرسة المانوية تنادى بضرورة ازالة القيود الاجتماعية وتخفيف حدة الفواصل التى كانت موجودة بين مختلف المجتمعات فى الهند .

وطالب بوذا أتباعه ومؤيديه بأن ينتشروا فى الأرض ويعلنوا أن الفقراء والاغنياء كلهم سواسية ، وأن رجال الدين ورجال الحرب ورجال الزراعة والصناعة جميعهم مواطنون فضلاء ، وجميعهم يتساوون فى التمتع باقامة الشعائر الدينية . وأن البراهمى لا يبز غيره من أفراد الطبقات الأخرى ، وأنه ليس بينه وبينهم ذلك الاختلاف الكبير الذى يوجد بين الذهب والصخر ، أو بين النور والظلمة ، أو بين العلم والجهل ، كما أدخل هذا الزعيم البراهمى الثورى تفسيرا جذريا فى مفاهيم المدرسة المانوية ، اذ نادى بأن البراهمى لم يخرج من الاثير أو من جوف الأرض ، ولم يولد فى هذا العالم عن طريق غير طبيعى ، وأنه رجل عادى كسائر الأفراد ، اذا مرض أو مات أصبحت جثته شيئا نجسا ، يحرم لمسها كجثث سائر الآدميين .

ولكن رغم كل هذه المبادىء الانسانية التى أعلنتها البوذية ، ورغم مالاح فى تصويرها من نضج وتقدم ، الا أنها لم تتمكن فى تصويرها ، أن تنتزع من فلسفة الهنود القدامى حب الزهد والبعد عن الحياة ، فظلت ادارتهم العامة أسيرة هذا الاطار ، وخاصة أن مبادئها كانت أكثر تحريضا على هذا الاتجاه ، اذ بنت مذهبها على أربعة مبادىء سمتها بالحقائق السامية الأربع أولاها : تقرير وجود الالم ، وأن الحياة ضرب من الالم ذاته . وصورت مظاهر الالم فى الولادة والمرض والشيخوخة ، ثم تعدتها الى ظواهر

---

(١) يرجع الى James Histings and John Selbin, Encyclopedea of Religion and Ethics, 1944, Indian Buddhism.
كما يرجع الى المرجعين السابقين والى كتاب ول ديرانت عن قصة الحضارة .

الحياة كلها . وثانى مبادئها يقرر أن مصدر الالم هو الشهوة ، والمبـدأ الثالث يطالب بضرورة القضاء على هذه الشهوة ، أما المبدأ الرابع فيرسم طريق الوصول للقضاء على هذه الشهوة. وهذه المبادىء الاربعة هى التى تسمى (السبل السامية ذات الشعب الثمان) .

والشعب الثمان : انما تحدد الصفات التى يجب أن يتحلى بها المرء وهى : سلامة الراى Right Views وسلامة النية Right aspirations وسلامة القول Right Speech وسلامة السلوك Right Conduct وسلامة العيش Right Livelehood وسلامة الجهد Right Effort ، وسلامة القصد فى الأمور التى تعنينا Right Mindfulness وسلامة التركيز العقلى Right Concentration كل هذه السبل والشعب يمكن ردها الى أمور ثلاثة هى: الاستقامة La Droiture والتأمل La Meditation والحكمة La Sagesse (١). وبهذا وضع بوذا للهنود القدامى صراطا واضـحا يمكن للادارة العامة أن تتبعه وهى حذرة من مطباته ، المتمثلة فى الزهد والتعالى عن أطايب الأكل فى الحيـاة الدنيا ، لأن التعاليم البوذية قد صـورت فى عموميتها الحياة شرا من الشرور يجب التخلص منه ، بينما أعتبرت العالم الآخر هو الخير الاعظم والمطلب الاسمى للمواطن الصالح الذى يجب أن يتطلع الى أرجاء الدولة السماوية ، غاضا ببصره عن تلك الدولة الارضـية ، فخلقت جيـلا من الاداريين الزهاد والمتصوفين ، ما زال ممتدا أثره فى الهند حتى اليوم(٢) .

لقد كان بوذا صاحب ثورة(٣)، ولكنها ثورة أخلاقية علا فيها السلام على كل شىء وكان كأنه اعتنق ديانة السيد المسيح قبل أن يولد بأكثر من ٥٠٠ عام ، ولقد كان يقول لاتباعه .. اذا أساء الى انسان عن عمد فسأرد اليه الاساءة بوقاية من حبى ، وسأمنحه حبا مخلصا ، وكلما زادنى شرا فسأزيده خيرا .

The more evil comes from a man the more good shall come from me.

ثم هو القائل لمريديه :

١ ــ لا يقتلن أحد كائنا حيا

Let not one kill living being.

٢ ــ لا يأخذن أحد ما لم يعط له .

Let not one take what is not given to him

٣ ــ لا يقولن أحد كذبا .

Let not one speak falsely

٤ ــ لا يشربن أحد مسكرا .

Let not one drink intoxicating drinks

٥ ــ لا يقمن أحد على دنس(٤) .

Let not one be unchaste

ورغم هذه الثورة الاصلاحية التى تعبر عن أغلى معانى السلوكيات التى تهتم بها الدراسات الادارية الحـديثة ، ورغم ما عمله الامبراطور أسوكا Asoka (١) لنشر تعاليم بوذا داخل البلاد وخارجهـا ، فان البوذية الآن كدين يدين به الملايين ، والذى هو من أكثر أديان العالم روادا، فقد أصبحت دينا لغير الهنود رغم أن المعتنقين له فى العالم يبلغون الـ ٥٠٠ مليون(٦) .

ان الحديث عن فلسفة الهند يطول شرحه ، وان ما يمكن أن تستفيد منها دراسات الادارة العامة لكثير وكبير ، ولكنه يحتاج الى مشـقة فى التفـكير لمعرفة كيف نظم الهنود فلسـفتهم وامنوها وأثروها بكل فكر ثاقب .

---

(١) يرجع الى تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية للاستاذ الدكتور مصطفى الخشاب ص ٣١
(٢) يرجع الى Will Durant, The Story of Civilization, p. 425 and see.
(٣) يرجع الى كتاب الدكتور أحمد الخشاب فى التفكير الاجتماعى ١٩٧٠ ص ٩٨ .
(٤) يرجع الى Eugène Burnof, Introduction à l'Histoire du Buddhisme, and see also Encyclopedia of Religions, (India Buddhism).
(٥) V.A. Smill, Asoka, The Buddhist, 1959.
(٦) Encyclopedea of Religions and Ethics p. 209. على أن كتاب المعتقدات القديمة The Archeology of Religion يحدد عدد البوذيين فى العالم بمقدار ١٥٥ مليون بوذى وسواء كان العدد خمسـمائة أو مائـة وخمسـة وخمسين مليون فهو عدد كبير بالنسبة لتعداد الأديان .